الخاتمة

انتهى - بحمد الله وحسن توفيقه - بحث: «أوقاف الحرمين الشريفين في العصر المملوكي»، بعد سياحة طويلة عريضة عميقة، عاش فيها الباحث بين الوثائق التي تضمها دور «أراشيف القاهرة»، والوثائق التي قدر الله لها أن ترى النور في دراسات قيمة قام بها أساتذة متخصصون ، ثم في مصادر عديدة ومتنوعة تتصل بالموضوع، وترتبط به، بين مخطوطة ومطبوعة، وقد ضمت هذه المصادر: الموسوعات الشاملة، وكتب التاريخ، والتراجم، والجغرافيا، والرحلات، وغير ذلك.

والباحث - إذ يشكر الله أن يسرّ له إتمام هذا العمل، وأعانه على التغلب على صعوباته يطيب له أن يسجل فيما يلي خلاصة لهذه الدراسة، تتضمن أهم نتائجها، ويشرفه أن يضيف بذلك لبنة في صرح الدراسات التاريخية الحضارية الوثائقية الشامخ، فإن أصاب فذلك فضل من الله ونعمه وإن قصّر فإنه يرجو ألا يحرم الثواب، فقد اجتهد وبذل قصارى جهده، ثم إنه على استعداد لتقبل كل وجهة نظر قد تختلف معه، أو تسهم في سدّ ثغرة، أو تصحيح معلومة، في سبيل الارتقاء بالبحث في طريق الاكتمال، أما الكمال فلله وحده:

١ - تأثر المماليك بنظام الوقف الذي كان قائماً في الدولة الأيوبية ، وتعددت دوافع الوقف لدى سلاطين المماليك وأمرائهم وأعيانهم بين دينية وسياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية، فقد كانوا يقتربون من قلوب الناس خاصة أهل الحرمين عن طريق الأوقاف والعطايا والهبات والصدقات ليظهروا في صورة حماة الحرم المكي والحرم المدني أمام المسلمين ، وبذلك تتأكد شرعيتهم وتتوطد سلطتهم؛ ولذات السبب وجّهوا ريع أوقافهم للعناية بطرق الحج، والاهتمام بالمحمل، وكسوة الكعبة، والحجرة

النبوية، وكثرت الأوقاف والأعطيات والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين للارتقاء بميناءي جدة وينبع، ليكونا من روافد الاقتصاد المملوكي.

٢- شملت الأوقاف إنشاء وإصلاح المدارس والأربطة ومكاتب تعليم الأيتام، والصرف على البيمارستانات، بهدف الارتفاع بمستوى أحوال أهالي المدينتين المقدستين الصحية والعلمية.

٣ ـ تعددت مصارف الأوقاف، لكنها تجتمع في ثلاث جهات رئيسية، فهي إما لشئون الحرمين الشريفين ومصالحهما، وإما للأشراف والأهالي، وإما للخدمات العامة بالمدينتين المقدستين، والأوقاف على كل جهة من هذه الجهات، منها ما وقفه السلاطين، ومنها ما وقفه الأمراء، ومنها ما وقفه الأعيان.

٤ ـ كانت التنظيمات الإدارية للوقف، ووظائفه والإشراف عليه من ضمانات نجاحه، وقد ذكرت هذه الوظائف بالتفصيل في هذه الدراسة، لكن بمرور الوقت جدّ من الأسباب ما أدى إلى تدهور الأوقاف.

٥ ـ بلغ النفوذ المملوكي على المدينتين المقدستين إلى درجة أن مراسيم تولية أمراء مكة والمدينة كان لابد أن تصدر من السلطان في مصر، ونظمت المراسيم العلاقة بين الطرفين، ومنها أن يصاحب المرسوم خلعة السلطان، وهي ترمز إلى رضاه عن الأمير، غير أنه في أواخر العهد المملوكي كان بذل المال للسلطان وسيلة لتعيين الحكام في المدينتين المقدستين.

٦ ـ لم تكن حماية طريق الحاج تتم مباشرة عن طريق السلاطين، بل كان في مقدمة مهام حكام الحرمين الشريفين، تأمين قوافل الحج وحمايتها عند دخولها في حدودهم، وكان المقصر في ذلك يتعرض لغضب السلطان.

٧ ـ كانت الثمرات والآثار الناتجة عن الأوقاف متوافقة مع الدوافع التي دفعت إليها، ونعمت المدينتان المقدستان بالنتائج الطيبة للأوقاف، في كل جوانب الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، التي حققتها الأوقاف في تلك الفترة.

٨ ـ من الآثار الاقتصادية للأوقاف ازدهار ميناءي جدة وينبع في معظم فترة المماليك ، وأوجد نظام الوقف فرص عمل كثيرة لأبناء المدينتين المقدستين ، وأنعشت الفوائد المالية الحاصلة من ريع الموقوفات من جوامك وغيرها من سائر المصروفات الأسواق بعد إعادة طرحها فيها ، وأدى ما أنفقته الأوقاف في عمليات شراء الأطعمة، والحبوب، والملابس، والزيوت ومواد البناء وغيرها إلى الرواج في أسواق المدينتين المقدستين.

٩ ـ دلت الشواهد التاريخية على ارتباط الحالة الاقتصادية بالحرمين الشريفين في ارتفاع وانخفاض منسوب مياه النيل بمصر، وارتباط ذلك بانخفاض وارتفاع الأسعار في كل من مصر والمدينتين المقدستين، وهذا التأثير انعكس سلباً على اقتصاد المدينتين المقدستين اللتين اعتمدتا على موارد غير ثابتة لارتباطها بالغير ، وتظل هذه الموارد الخارجية، خاضعة لعوادي الزمان والمكان والإنسان.

١٠ ـ من آثار الأوقاف على الحياة الاجتماعية والعلمية ظهور المدارس لأول مرة في مكة المكرمة في الربع الأخير من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، ثم توالى إنشاء المدارس في المدينتين المقدستين بعد ذلك التاريخ.، و أظهرت الوثائق معلومات عن حلقات العلم التي كانت تقام داخل الأربطة، وازدهار الدراسات والعلوم الطبية في ذلك العصر، وكان مما أسهم في أسباب هذا التقدم ما تصرفه الأوقاف في هذا السبيل. وقد وفرت إلى جانب ذلك المناخ الفكري الحرّ، لكل الآراء والمناقشات العلمية الجادة، لشعور المشاركين بأن أحداً لا يستطيع منع حقوقهم المعيشية المقررة لهم، نتيجة الخلاف في الرأي ، وهذا ما لم تصل إليه الأمم الأخرى إلا مؤخراً.

١١ ـ خصص بعض الواقفين ريع وقفه على الأرامل والمنقطعات والمطلقات في المدينتين المقدستين، وخصصه بعضهم على صائدي الهوام والحشرات في الحرمين، وعلى حارسي نعال المصلين وفي ذلك نظرة بعيدة

المدى في الحفاظ على المجتمع المسلم، و يؤكد الترابط الاجتماعي الذي حققته الأوقاف في هذه الحقبة الزمنية.

١٢ - أشار البحث إلى بعض الدوافع السلبية للوقف، وانحراف بعض القائمين عليه عن سواء السبيل، ووصل الأمر إلى عدم تحقيق الوقف لأهدافه.، ومحاولة بعض السلاطين حل الأوقاف والعمل على استغلالها، وإقطاعها لمن لا يستحقها بدون مسوّغ شرعي، كما أشار إلى البعد عن الحياة الجادة العاملة التي سببها الوقف لكثير من أصحاب الوظائف؛ لكن هذه السلبيات كانت محدودة، ولا تؤثر في احتفاظ الوقف بأداء رسالته في الأغلب الأعم.

١٣ - كان الشعور الديني عاملاً من عوامل انتشار الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي، لما للدين من أثر عميق على نفوس الواقفين فانعكس على تصرفاتهم، وكثرت الأوقاف على مصالح الحرمين الشريفين وعلى شؤونهما ومن بهما، كالقضاة، والخطباء، والأئمة والمؤذنين والنظار والفراشين والبوابين والوقادين. وغيرهم.

والشكر لله على عونه وحسن توفيقه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
المقدمة	٩
أهمية البحث وأسباب اختياره	١١
مصاعب البحث	١٢
دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث	١٤
التمهيد	٢٨
الفصل الأول: اهتمام المماليك بالحرمين الشريفين	٤٣
أولاً : الاهتمامات السياسية للمماليك بالحرمين الشريفين	٤٦
١ ـ أوضاع مكة المكرمة السياسية في العصر المملوكي	٥١
٢ ـ أوضاع المدينة المنورة السياسية في العصر المملوكي	٦٦
ثانياً: الاهتمامات الدينية للممارليك بالحرمين الشريفين	٧٦
١ ـ طرق الحج والمحمل زمن سلاطين المماليك	٧٨
أ ـ طريق ركب الحاج المصري	٨٠
ب ـ طريق ركب الحاج الشامي	٨٨
ج ـ المحمل	٩٠
٢ ـ كسوة الكعبة المشرفة والحجرة النبوية الشريفة	٩٢
٣ ـ حجّات السلاطين والأمراء ونساء السلاطين وكبار رجال الدولة	٩٩
٤ ـ الأعطيات والصدقات على أهالي الحرمين الشريفين	١٠٦
ثالثاً : الاهتمامات الاقتصادية للمماليك بالحرمين الشريفين	١٠٨
١ ـ أوقاف وصدقات السلاطين والأمراء والأعيان على الحرمين الشريفين	١١٠
٢ ـ المكوس ومراسم السلاطين في الحرمين الشريفين	١١٣
٣ ـ الأزمات الاقتصادية في الحرمين الشريفين	١٢٠

رابعاً: الاهتمامات الاجتماعية للمماليك في الحرمين الشريفين ١٢٢
المنشآت العامة في الحرمين الشريفين والإصلاحات التي تمت بهما ١٢٣
١ ـ الإصلاحات في الحرمين الشريفين. ١٢٣
ـ المنشآت الاجتماعية والعلمية في الحرمين الشريفين ١٢٧
٢ ـ المدارسي في الحرمين الشريفين ١٢٧
أ ـ مدارس مكة المكرمة ١٢٨
ب ـ مدارس المدينة المنورة ١٣٧
٣ ـ الأربطة في الحرمين الشريفين ١٣٨
أ ـ أربطة مكة المكرمة ١٤٠
ب ـ أربطة المدينة المنورة ١٤٢
٤ ـ البيمارستان في الحرمين الشريفين ١٤٣
أ ـ البيمارستان في مكة المكرمة ١٤٤
ب ـ البيمارستان في المدينة المنورة ١٤٥
٥ ـ المرافق المدنية في الحرمين الشريفين ١٤٥
أ ـ المرافق في مكة المكرمة ١٤٥
ب ـ المرافق في المدينة المنورة ١٤٨

الفصل الثاني: أوقاف الحرمين الشريفين في مصر،
وفي المدينتين المقدستين، مكة والمدينة ١٥١
أولاً: الأوقاف على شؤون الحرمين الشريفين ١٥٣
١ ـ أوقاف السلاطين ١٥٣
٢ ـ أوقاف الأمراء والأعيان ١٥٩
ثانياً: الأوقاف على الأشراف وأهالي الحرمين الشريفين ١٧١
١ ـ أوقاف السلاطين ١٧١
٢ ـ أوقاف الأمراء والأعيان ١٧٩
ثالثاً: الأوقاف على الخدمات العامة بالحرمين الشريفين ٢١١
١ ـ أوقاف السلاطين ٢١١
٢ ـ أوقاف الأمراء والأعيان ٢١٤

الفصل الثالث: التنظيمات الإدارية للوقف
في الدولة المملوكية للمدينتين المقدستين ٢٢٩
أولاً : الأوقاف العامة (الخيرية ـ الحكمية) ٢٣٥
ثانيـــاً : الأوقاف الخاصة (الأهلية ـ الذرية) ٢٤٥
ثالثـــاً : تنظيمات الوقف والإشراف عليه ٢٥٠
رابعـــاً : ديوان الأحباس ٢٥٤

الفصل الرابع : أثر الأوقاف على الحياة العامة في المدينتين المقدستين .. ٢٦١
أولاً : أثر الأوقاف على الحياة الدينية ٢٦٣
أ ـ الشعور الديني ٢٦٣
ب ـ الوظائف الدينية ٢٦٨
١ ـ القضاء على لحرمين الشريفين ٢٦٩
٢ ـ الخطابة في الحرمين الشريفين ٢٧٣
٣ ـ الإمامة في الحرمين الشريفين ٢٧٤
٤ ـ سدانة الكعبة المشرفة وخدام المسجد
والحجرة النبوية الشريفة ٢٧٦
٥ ـ الأذان في الحرمين الشريفين ٢٨٠
٦ ـ النظارة في الحرمين الشريفين ٢٨٣
٧ ـ ناظر العمارة في الحرمين الشريفين ٢٨٥
٨ ـ السقاية في الحرمين الشريفين ٢٨٦
٩ ـ وظيفة الفراشة في الحرمين الشريفين ٢٩٠
١٠ـ وظيفة البوابين في الحرمين الشريفين ٢٩٣
١١ـ الوقادة في الحرمين الشريفين ٢٩٤
ج ـ النفقات الدينية (الإنفاق) ٢٩٦
ثانيـــاً : أثر الأوقاف على الحياة الاجتماعية ٢٩٨
١ ـ توفير الحياة الكريمة
لجميع طبقات المجتمع المكي والمدني ٢٩٨
أ ـ أمراء الحرمين الشريفين ٢٩٨

ب ـ طبقة العلماء وأرباب الوظائف
بالحرمين الشريفين ٣٠٠
ج ـ طبقة الأهالي والمجاورين ٣٠٥
٢ ـ توفير الرعاية الصحية لأفراد المجتمع المكي والمدني ٣١٢
أ ـ الرعاية الصحية ٣١٢
ب ـ الوظائف الطبية ٣١٦
٣ ـ توفير المياه في المدينتين المقدستين ٣٢٠
أ ـ توفير المياه داخل المدينتين المقدستين ٣٢٠
ـ مكة المكرمة ٣٢٠
ـ المدينة المنورة ٣٢٤
ب ـ توفير المياه خارج المدنيتن المقدستين ٣٢٥
ثالثـــاً : أثر الأوقاف على الحياة الاقتصادية ٣٣١
ـ أثر الأوقاف في ازدهار الحياة الاقتصادية
بالحرمين الشريفين ٣٣١
رابعـــاً : أثر الأوقاف على الحياة العلمية ٣٣٧
أثر الأوقاف في ازدهار الحياة العلمية
في المدينتين المقدستين ٣٣٨
أ ـ كثرة العلماء بالمدينتين المقدستين ٣٤٥
ب ـ كثرة طلبة العلم بالمدينتين المقدستين ٣٥٤
ج ـ نشر العلم في مؤسساته بالمدينتين المقدستين ٣٦٣
الخاتمة: نتائج الدراسة ٤٠٧
الملاحق ٤١١
قائمة المصادر والمراجع ٤٧٩
فهرس الموضوعات ٥١٥